دور الكتاتيب ونشر التعليم العربي الإسلامي في السنغال: كتّاب بمب مود نموذجا

بابكر نيان – جامعة إبا دير تيام بتياس – السنغال
m.almahde@it.misuratau.edu.ly

مُلَّخصُ:
لعبت الكتاتيب أو المدارس القرآنية دورا هاما في نشر التعاليم الإسلامية لأنها من أهم المراكز العلمية الدينية لإشعاع التعليم العربي الإسلامي في بلاد السنغال. وتعود أسباب انتشارها في المجتمع إلى القرن الحادي عشر بواسطة المرابطين حسب كثير من المؤرخين. ومن أشهرهم عبد الله بن ياسين الذي توفي عام 1059م. ومع مرور الزمان نلاحظ أن مثلها موجودة في بقية الأقطار السنغالية ومن ضمنها كتّاب بمب مود.
أما في السالوم فمدرسة محمد بمب سال ببمب مود أو مدرسة بمب مود لمحمد بمب سل من أقدم الكتاتيب على حسب ما رواه أفراد أسرته. وإلى هؤلاء العلماء الأجلاء وإلى غيرهم يرجع الفضل في انتشار التعليم القرآني والتعليم العربي الإسلامي ومدوا جذورا عميقة في مختلف أنحاء البلاد لتطوره. إذاً، فإن مدرسة محمد بمب سل من أقدم المدارس القرآنية التي عرفها الإقليم حتى إن المنطقة تفتخر بأنها أعظمها وأكثرها إنتاجا للمتعلمين والعلماء والأئمة والشيوخ والدعاة.
إن الكلمات العربية موجودة بكثير في اللغات الوطنية، والسبب يعود إلى دور الكتاتيب في نشر التعليم الديني بواسطة الشيوخ الكبار الذين ألقوا دروسهم باللغات المحلية واستعاروا بعض الكلمات العربية. وهذه الأخيرة أصبحت مزدوجة باللغات المحلية مع بعض التحريف.
الكلمات المفتاحية: كتاّب -التعليم – الإسلام – التربية – اللغة – الازدواج.

مقدمة:
يعود تاريخ الكتاتيب في السنغال ودورها إلى أزمنة بعيدة لأن لها تاريخا قديما ومكانة اجتماعية ودينية رفيعتين عبر العصور التاريخية. ونود في هذه العجالة أن نتطرق إلى الكتاتيب القديمة التي فرضت نفسها على السنغال وأسباب انتشارها في المجتمع

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

منذ القرن الحادي عشر بواسطة المرابطين من قبائل صنهاجة (لمتونة وجدالة...) في واد نهر البلاد، ومن أشهر هؤلاء المرابطين عبد الله ابن ياسين الذي توفي عام 1059م. ويؤكد هذا القول حسن إبراهيم حسن عندما يكتب:" ويرجع انتشار الإسلام في حوض السنغال إلى عبد الله بن ياسين الذي عرف بالتقوى والتقفه في الدين."[1]

وفي هذا المنوال، قال شارنو كاه:" ومهما يكن من أمر فإن المسلمين بصفة عامة والسنغاليين بوجه خاص رأوا أن تعلم القرآن واجب ديني على جميع المسلمين، وجعلوا تعلم اللغة العربية يحتل نفس المرتبة العالية لأنه لا يمكن فهم القرآن بدون اللغة العربية ولذا نجد أن انتشار اللغة العربية في السنغال وغيره من الدول الإسلامية مرتبط ارتباطا وثيقا بانتشار الإسلام في تلك الدول."[2] ويعتقد المسلمون بأن القرآن الكريم نور وروح؛ ينير للإنسانية الصراط المستقيم ويريهم كيف يعيشون حياة طيبة في الدنيا تهيئ لهم السعادة الأبدية في الآخرة. وهذا، دفعهم على العناية به حفظا وفهما وتطبيقا.

لا ريب أن أول كتاب عربي يعرفه السنغاليون بصفة عامة وبصفة خاصة أهل السالوم هو القرآن الكريم الذي فرض عليهم القراءة من الحروف الهجائية إلى التحفيظ الكامل عن ظهر القلب. والعناية بهذا الكتاب هو سبب اهتمامهم الدائم به. إن ما ذكره المؤرخون الغربيون والمحليون بدأ تعلم القرآن والفنون الشرعية في البلاد منذ مئات السنوات في أماكن خاصة تسمى دَارَ[3] على أيدي حفظة متخصصين. وقد وجدت مدرسة قرآنية في كل قرية كبيرة أو صغيرة تحت إشراف شيخ أو معلم، وكانت تضم عددا مهما على حسب الإقليم. وإن الظروف القاسية والبيئة السيئة في الكتّاب لا تمنع الطلبة أن يأتوا من كل فج عميق.

لمناقشة هذا الموضوع يتمحور البحث حول ثلاث نقاط أساسية. نتكلم أولا عن دخول الإسلام ونشأة الكتاتيب في السنغال ثم دور كتّاب مود بمب سل في انتشار التعليم العربي الديني قبل أن نتطرق تأثير اللغة العربية على المجتمع السنغالي.

أولا: دخول الإسلام ونشأة الكتاتيب في السنغال

إن تاريخ دخول الإسلام في السنغال يكتنفه الغموض لأنه لم يعتمد على التدوين الدقيق لأن السنغاليين لم يتعودوا على الكتابة لعدم وجود الحروف المستعملة، ولكن

[1] حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1984، ص. 19.

[2] شارنو كاه الحبيب: الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في السنغال، جامعة محمد الخامس بالرباط، معهد الدراسات الإفريقية الرباط، 2016، ص. 14.

[3] مركز تعليمي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية والعربية.

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

الباحثين حرروا أن نشأة الكتاتيب مرتبطة بدخول الإسلام في البلاد، واختلف المؤرخون اختلافا بينا بتاريخ دخول هذا الدين الحنيف في البلاد، وإن ذهب بعض منهم مثل د/عبد القادر الزبيدي الإسلام دخل السنغال في القرن الثامن الميلادي، يرى الآخرون أنه دخل السنغال عن طريق جنوب الصحراء منذ القرن الحادي عشر الميلادي، ومنذ ذلك الوقت انتشر بشكل سريع.[54] وقد قام المرابطون بدور مهم في نشر هذا الدين الحنيف في القارة الإفريقية الغربية والشمالية. حسب أحمد شلبي إن بلاد السنغال كانت نقطة انطلاق الجيوش الإسلامية إلى الأجزاء الأخرى لنشر الثقافة الإسلامية.[6]

يعود تاريخ الكتاتيب في السنغال إلى القرن الحادي عشر حسب ما قاله بعض الباحثين الدكاترة السنغاليين الأولين، منهم د/ عامر صمب ود/ الحاج روحان امبي ومحمد (ممد) انجاي في كتاباتهم عن التعليم العربي الإسلامي في السنغال. ويؤيدهم في هذا الرأي كثير من المؤرخين السنغاليين وغيرهم. وإذا كان الباحثون قد اختلفوا في تاريخ دخول الإسلام في السنغال، فإنهم قد اتفقوا على أنه دخل البلاد عن طريق المغرب، وبالتحديد بواسطة التجار الذين وصلوا إلى السنغال الشمالية. ويقال إن أول السنغالي الذي اعتنق هذا الدين القيم هو الأمير وارجابي انجاي على أيدي أجنبي بربري علّمه بعض آيات وسور من القرآن الكريم وكذلك المبادئ الشرعية. وفي هذا الصدد، يقول شارنو كاه الحبيب: إن معظم الباحثين ممن كتبوا عن تاريخ الإسلام في السنغال ذهبوا إلى القول أن الإسلام دخل إلى السنغال منذ أيام زعيم وارجابي الذي كان يتولى حكم مملكة كبيرة تسمى مملكة تكرور. وتوفي هذا الزعيم في العام 432 الهجري الموافق 1040 م.[7] ويؤيده البكري الذي ذكر اسلام ملك التكرور وارجابي بن رابيس (ت 432 ه).[8]

ومن الجدير بالذكر أن في ذلك الوقت، لعب البرابر دورا مهما في هذا الميدان. كتجار يجوبون بلاد القارة دعاة ومعلمين وكانوا يجلبون انتباه بعض الملوك الذين أخذوا الدين من القبائل الشنقيطية أو الصنهاجية شيوخا لهم. ويؤكد الرحيل البرتقالي كادا مستو Cada Mosto أنه كان في بلاط الملك الذي يدعى بُو دَمِيلْ

[4] محمد مصطفى جوف، تعليم اللغة العربية في المجالس السنغالية، مذكرة في المدرسة العليا بداكار 1987/1986.

[5] نفسه.

[6] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1983، ص.52.

[7] شارنو كاه الحبيب: الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في السنغال، ص. 27- 28

[8] Wikipédia, consulté le14/04/2020

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

أي بور داميل[9] Bour Damel الصنهاجية أو العرب الذين كانوا في منزل الملك وهم الذين كانوا يعلّمون الملك القانون المحمدي بمعنى الشريعة الإسلامية.[10] ويؤكد هذا الرأي ممد انجاي حين يقول: أدخل البرابر مبكرا التعليم العربي كالدين الإسلامي في السنغال وهم الشيوخ الأوائل للسنغاليين الذين واصلوا هذه المهنة من هؤلاء الأجانب وأسسوا فيما بعد مراكزهم العلمية في البلاد. كانت في البداية كتاتيب صغيرة تسمى بفاك تال fak taal التي تلقي الدروس بواسطة نور النار التي توقد بعد المغرب. وإثر هذه الكتاتيب، تطورت مدارس قرآنية أخرى ولو بطء حتى أن وصلت إلى تأسيس مراكز علمية كبيرة مع نظام خاص لها.[11]

ولا مانع -ما دمنا بصدد استعراض الآراء ووجهات النظر حول دخول الإسلام في السنغال- أن نذكر هذا الرأي القائل: إن اللغة العربية وصلت إلى السنغال عن طريق جامعة سنكوري في تمبكتو التي كانت مكتظة بالعلماء العرب استدعاهم أحد ملوك مالي لعله الأمير كانك موسى للمشاركة في رفع مستوى التعليم هناك وفي توطيد دعائم الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة. وليس من المستبعد أن يكون بعض السنغاليين قد تمكن من الالتحاق بالجامعة والتلقي من علمائها الأجلاء كما قاله شارنو كاه.

ومهما يكن الأمر، فإن الإسلام دخل السنغال في القرن الحادي عشر عن طريق التجار العرب البرابر الذين جاءوا إلى البلاد وهم يحملون بضائعهم التي تتكون من مواد غذائية وفي قلوبهم مبادئ الإسلام وتعاليمها السامية وحضارته الإنسانية. ومنذ دخول الإسلام في البلاد، بدأت الكتاتيب تنتشر شيئا فشيئا وتتسع في ربوع البلاد وأرجائها المختلفة. وأشهرها مدرسة فوتا تورو التي أسسها العالم الكبير الشيخ ما صمب تيام الجد الأعلى لأسرة نياس بكولاك. ويعتبرها السنغاليون منهلا ومصدرا اشتقت منها مدارس أخرى قرآنية كانت أو علمية. ويحقق الدكتور شارنو كاه هذا القول اعتمادا على رسالة كتبها الشيخ امباكي بوسو وموجهة إلى الشيخ إبراهيم انياس وسأله عن المواد التي كان يلقي بها جده مصمب تيام. وزد على ذلك يخبرنا بأن القادرية هي الطريقة الصوفية التي كانت تسود في ذلك الوقت، ولذا كان مصمب تيام قادريا رغم أن حفدته أصبحوا تجانيين منذ الحاج

[9] Cada Mosto Alvise : Relation des voyages de la côte occidentale d'Afrique, publiée par M.Charles Schefer, Paris, Ernest Leroux, 1895, cité par Mamadou Ndiaye, L'enseignement arabo-islamique au Sénégal, Istanbul, CRHACI, p.12

[10] Carson I. A. Ritchie : Deux textes sur le Sénégal (1673-1677), B.IFAN.B., 1968, n° 1.

[11] Mamadou Ndiaye, L'enseignement arabo-islamique au Sénégal, Istanbul, CRHACI, 1985, p.27

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

عبد الله انياس (1840-1922).[12] وهذا يعني أن كثيرا من العلماء القدماء مروا بهذه المدرسة الدينية العريقة، ومنهم مؤسس ككي. وفي هذا يقول د. جيم درامي: "واصل الشيخ مختار ندمب جوب رحلته العلمية إلى فوت تورو حيث مكث فترة؛ يدرس عند الشيخ والمعلم الكبير مسمب تيام."[13]

لقد تخرج في هذه المدرسة المباركة عدد كبير من العلماء، نذكر منهم على سبيل المثال القاضي عمر فال الذي أسس فيما بعد جامعة بر Pir التي كانت تستقبل طلاب العلم من مختلف أنحاء سنغمبيا وخاصة أهل فوتا تورو. بالنسبة للمؤسس، قال محمد يوري سال أنه درس القرآن الكريم داخل أسرته قبل أن يذهب إلى مدرسة شارنو مصطفي باه في قرية تيكن Teekaan التي كانت تتبع مدرسة تلد رشيد (Touldé Raashid) وتعلم فيما بعد في المدارس الشمالية، مثل وَلَاتَ والشنقيط. وإثر عودته إلى فوتا، أسس مدرسته في غاني حامي جلدو(Gaani Hammee Juuldo) ومع عدم الاستقرار السياسي الذي كان يسود في المنطقة وانهزام ناصر الدين، هاجر إلى جانب دمات (Dimat) ومن هنا غادر ليتجه إلى منطقة كاجور (Cajoor) حيث يوجد أسرته الملكية. وعند مجيئه، تشرف الملك أن أتاه من أقاربه عالم علامة، وعينه القاضي لكاجور ثم قدم إليه أراضي واسعة لإنشاء مدرسة دينية. هكذا ولدت مدرسة بير سانياخر Pir Saniokhor في الربع الأول للقرن السابع عشر. ورغم كل ذلك ما دام عمر فال مدة طويلة لكي يتقن اللغة الولوفية قبل أن يعود إلى فوتا وذلك ما عرقل شيئا في استمرار المركز العلمي. ولعب دورا مهما أولاده في شهرة هذا المركز بعد سنوات، ومنهم دمبا فال المشهور دمبا كودي فال Demba Kudi Lomel وإخوته وأخواته وأحفاده[14].

وواصل مؤلف هذه السطور إلى أن يقول: إذا، أصبح بير المركز العلمي الذي يتجه إليه جميع طلاب العلم للمستويات العالية. مر كثير من ثوار وألمام[15] والشخصيات في فوتا، منهم مالك سي مؤسس مملكة بند وسليمان راسين بال وعبد القادر كان ووالد الشيخ عمر الفوتي، السيد آتمان تال ومختار نمبي جوب مؤسس مدرسة كك.[16]

---

[12] Thierno Ka, École de Pir Saniakhor : Histoire, Enseignement et Culture arabo-islamique au Sénégal du XVII^{e} au XX^{e} siècle, GIA, Dakar, 2002, p.252

[13] جيم عثمان درامي، من رواد التعليم العربي الإسلامي في السنعال، الحاج أحمد الصغير لوح: مؤسس مدرسة "ككي" الحديثة، حياة في خدمة التربية والتعليم، منشورات تمبكتو دكار- القاهرة، 2018، ص. 29

[14] Mamadou Youry Sall, *Mesure de l'arabophonie du Sénégal*, P. U. de Dakar, Baajoordo Centre de Recherche, Dakar, Septembre 2017, pp.40-41

[15] تحريف كلمة إمام ويعني في هذا السياق الرئيس الذي يتولى الدولة التي تقيم على القواعد الشرعية والمبادئ الديموقراطية.

[16] نفس المرجع ص. 41

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

ومن خلاصة القول إن الكتاتيب منتشرة في جميع أقطار البلاد على مرور الزمان، ولذا قرر عبد القادر كان على فتح نوعين من المدارس: مدرسة خاصة للقرآن الكريم وأخري للعلوم الدينية والعربية.[17] وعلى كل حال قبل مجيء جان دارد (Dard Jean) سنة 1817 لفتح المدارس الفرنسية في سان لويس فإن الكتاتيب موجودة طول ساحة السنغال وعرضه ما عدا كاسمانس.[18] وقد بذلت السلطة الاستعمارية قصارى جهدها في محاربة المدارس القرآنية والإسلامية لأجل فرض لغتهم وثقافتهم وحضارتهم.

وإن كانت هذه المدارس من أهم مراكز الإشعاع في شمال السنغال لا بد أن نشير إلى أن مثلها موجودة في بقية الأقطار السنغالية. فيما يتعلق بمنطقة جمبور فإن مدرسة ككي المذكورة أعلاها من أقدم المراكز العلمية التي أسسها الشيخ مختار اندمب جوب (1753-1701) هو صاحب الكتاب النحوي المشهور بمقدمة الككي، ويقال إنه أول من أدخل علم النحو في التعليم العربي الإسلامي بعد عودته من رحلته إلى فوتا وبير وموريتانيا. حسب ما قاله جيم درامي، يعتبر مختار انمب جوب أول من تخصص في النحو العربي في السنغال؛ إذ كان التلاميذ قبله يكتفون بدراسة الفقه. ومن بلاد شنقيط؛ عاد إلى كاجور واستقر في بير بغية تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية [...] ومهما يكن من أمر فقد ظل فترة في بير فيما يرجح قبل عودته إلى مسقط رأسه وراك انجاتار حيث كان التلاميذ يقصدونه من مختلف الجهات؛ لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية.[19] وبعد تأسيس قرى أخري بغية التعليم الديني، أسس قريته الشهيرة التاريخية الاجتماعية تحت رعاية الملك (داميل) ميس تند واج فال في النصف الأول من القرن الثامن عشر حوالي سنة 1725م.

أما في السالوم فمدرسة محمد بمب سال ببمب مود أو مدرسة بمب مود لمحمد بمب سل من أقدم الكتاتيب على حسب ماروا أفراد أسرته. وإلى هؤلاء العلماء الأجلاء وإلى غيرهم يرجع الفضل في انتشار التعليم القرآني والتعليم العربي الإسلامي ومدوا جذورا عميقة في مختلف أنحاء البلاد لتطوره.

ثانيا: دور كتاب مود بمب سل في انتشار التعليم العربي الديني

ومن الكتاتيب السالومية البارزة علي حسب الموضوع، فإن مدرسة محمد بمب سل من أقدم المدارس القرآنية التي عرفها البلاد حتى إن المنطقة تفتخر بأنها أعظمها وأكثرها إنتاجا للمتعلمين والعلماء والأئمة والشيوخ والدعاة. ولو حاولنا

[17] محمد سعيد باه: دولات الأئمة في فوتا تورو، دار الاتحاد، 2010، قاهرة مصر ص. 107

[18] Mamadou Woury Sall, op. cit, p. 43

[19] جيم عثمان درامي، نفس المرجع ص. 30

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

ذكر الكتاتيب المتخرجة منها لاحتاجت المحاولة إلى صفحات كثيرة. على أية حال كان الطلاب يأتون من كل فج عميق من خلال أنحاء البلاد: كاجور وجامبور وبوول والسالوم إلى آخره. لكثرة إقبال الناس إلى مدرسة بمب القرآنية، أصبح المتعلمون عددا لا يعد ولا يحصى.

في سرد المدارس القرآنية القديمة في هذه المنطقة المذكورة، يقول الدكتور جيم عثمان درامي: ومن أشهر المراكز التعليمية والتربية التي كانت قائمة في منطقة سالوم؛ يمكن أن نذكر بامب مود وندرامي دمب وبمبل ومكة كر ساكمب ولونكان وكر كتن كيفارا وجابي وداكبني وبر اندرامي وكجوت وناجيكي وانجاي انجاي وُلُوفْ وطيبة انجسين ودار انغانجاي وجامل ودمشق ودار السلام نيور وتيوبين بجومبات وباسي مامر نكتن وونار وكلمبود وكر عمر امبومبي وجاكان سادير وداكا سنغاي ونجابين كاد وتياغو نجكان وندوفان ندري موسه و كر نكاتا نور وكر سين غي وكر سَامْبَ رَقِي وانداما ومكة نجاغين وبرقة وكر الحاج بابُ مَرَمْ وكر الحاج مُورْ كُمْبَ. وهذا كله يدل على حيوية المراكز الإسلامية في السنغال منذ فترة طويلة.[20]

من مواليد بالو في مقاطعة سانجال بغمبيا الحالية[21]، محمد سال كان مشهورا بمود ياسين أو مود بمب سال. وقد حفظ القرآن الكريم مبكرا في حجر والده الشيخ سعيد مرم تيوي على حسب ما قاله أفراد أسرته. يقول الحاج هادي واد في مقالة عن محمد بمب: بدأ دراساته في السن السادسة عند أبيه وحفظ القرآن في السن التاسعة، وواصل الدراسة مع والده مدة خمس سنوات للدراسات الدينية وكان ولد أربع عشرة سنة[22]. وإن كان الأمر هكذا فإنه يدل على أنه ولد ذكي ومهذب تمكن أن يحفظ كتاب الله العزيز لمدة ثلاث سنوات في وقت كان العمل في الحقول عرقلة حقيقية للوصول إلى الهدف المرمي على حسب ما قاله عثمان انجاي: وكان الجو السنغالي مهيأ للثقافة الإسلامية، يحفظ الأولاد القرآن الكريم عن ظهر القلب ما بين السنة السابعة من العمر والرابعة عشر فيتضارب الكبار الأمثال والأحاجي في النحو والفقه والأدب...[23]

---

[20] جيم عثمان درامي: من رواد التعليم الربي الإسلامي في السنغال، الحاج أحمد الصغير لوح: مؤسس مدرسة ككي الحديثة حياة في خدمة التربية والتعليم، منشورات تمبكتو، دكار - القاهرة، يوليو 2018، ص 15 - 16

[21] يبدو لي أن تاريخ ولادته مجهول لأن الاختلافات فيه كثيرة

[22] El hadj Hady Wade, *Serigne Modou Bamba Sall Saloum ou la vie d'un soufi hors pair (1764-1856)*, journal Bamba, septembre 2003. n° 7, p.10

[23] عثمان انجاي: صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، مطبعة خطاب، القاهرة 2005، ص. 41

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

ومن طبيعة الحال، إن مثل هذا الذكاء يلاحظ في بعض الصغار الأذكياء الذين كانوا يرتادون الكتاتيب في السنغال. وفي هذا المنوال، يقول الشيخ محمد منتقى أحمد تال عن تعلم الشيخ الحاج عمر فوتي تال: " ولما بلغ من العمر خمس سنوات أدخله والده المدرسة عند الشيخ المجود المحرر المدقق لكتاب الله الإمام قِرى حماد وهو من أهل حلوار وحفظ القرآن على يديه وهو ابن ثمان سنين وقد ظهرت الكرامات على يديه حين قراءته القرآن في حال صباه..."[24]

على خلاف ما قاله الحاج هادي واد، فإن عثمان سال معلم في الابتدائية الحكومية بسام تيالين[25] وحفيد لمؤسس بمب هو يكتب: حفظ محمد سال القرآن الكريم ببالو في السن السابعة تحت رعاية أبيه الوقار وهو ولد مجتهد ومتحمس.[26] إضافة إلى ذلك، حررت مجموعة من أفراد أسرته مخطوطة تقرأ فيها: ولد محمد ياسين في قرية بالو التي توجد في سَبَخْ سَانْجَالْ حيث تعلم القرآن، وحفظه حفظا تاما تحت إشراف والده سعيد مرم تيوي في السن السابعة على حسب رأي بعض والسن الثامنة على رأي الآخرين. وكان والده يعجب بذكائه الفائق وبهمته العالية وبسلوكه المثيل رغم سنه الصغيرة.[27] وكرس حياته في كل حركاتها وسكناتها في خدمة الكتاتيب والإسلام بصفة عامة.

لا شك أن مرحلة الطفولة من أحسن مراحل العمر للحفظ بشكل عام، وخاصة حفظ كتاب الله تعالى، فالذاكرة فيها تكون صافية لا مشوش لها، والجسم في كامل صحته، وليست للطفل انشغالات تشغله عن الحفظ. وفترة الطفولة الذهبية هذه تبدأ من سن الخامس حتى بلوغ الثالثة والعشرين تقريبا.[28] وقال النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر.[29]

إذا، كلّت الألفاظ والمعاني عن إحضار صورته الحقيقية وعن وصفه، وقصرت فهوم الداركين عن إحاطة علمه وزهده وتقواه وتواضعه. فمحاولة تعريف هذا القرم المتعالي الباع في كثير من الفنون الدينية والاجتماعية تعريفا جامعا شاملا مانعا تشاهد من خلاله مناقبه الواسع المدى. نلاحظ أنه من أكبر

[24] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال: الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، دار البراق، بيروت 2005، ص. 373

[25] قرية قديمة قرب قرية بمب مود

[26] عثمان سل: قصيدة عن محمد بمب سل، مخطوطة عربية، بدون التاريخ، ص. 5

[27] حياة محمد بمب سل وأعماله، مخطوطة حررتها مجموعة من المثقفين باللغة العربية من أفراد الأسرته، بدون تاريخ، ص. 3

[28] براهيم بن أب الحسني الشنقيطي: طريقة حفظ القرآن الكريم عند الشناقطة، الرياض، 1427 هـ، ص. 47

[29] حديث رواه البيهقي في المدخل رقم 640

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

علماء السنغال الذين تولوا كرسي التعليم طيلة حياتهم لأجل خدمة الله تبارك وتعالى ولرسوله لنشر التعليم العربي الإسلامي في جميع أنحاء إفريقيا وخاصة في السنغال. فإنها في السالوم أعظم وأقدم المدارس وأكثرها تأثيرا داخل المنطقة وخارجها وأوسعها شهرة وإنتاجا. في كتابه تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، يقول محمد جوف السفير سابقا: وهناك أسرة قرآنية علمية في سالوم تستحق الذكر بإسهاب مثل أسرة الشيخ محمد بنمب صال الذي به سمى الشيخ محمد بنمب بك مؤسس المريدية...[30]

وفي ترجمة السيد عبد الله سيس مؤسس مدرسة جامل، الأستاذ أحمد سيس، ساكن هذه القرية يتكلم عن مدرستها قائلا: بمب مسكن ولي الله الشهير العالم الحافظ الشيخ محمد بمب بن سعيد بن بران سال المتوفي 1839 م، الذي عمت بركات علمه ودروسه جميع الآفاق.[31]

طبعا، ومن الممكن أن نقول إن مدرسة بمب مود القرآنية كوّنت أجيالا مختلفة لأماكن شتى. ومؤسسه الواسع الباع لعب دورا هاما في انتشار الإسلام وتعليم القرآن الكريم خاصة. وللإشارة إلى مهامه ومكانته يكتب أحمد بن عبد الله بن إبراهيم تمبد المشهور بشارنو حلي تمبد: البمبية بباءين مفتوحين بينهما ميم ساكنة قرية من قرى منداغ بميم مفتوحة ونون ساكنة ودال مفتوحة وغين ساكنة في بلاد سالوم. ويعرّفه أنه شيخ مشايخ أجدادهم الذي أحيى الملة الإسلامية في البلاد الصينية والسالومية وجعل على العَلَم منارها وشيد بأعمدة التقوى والعلم والمجاهدة مبناها حتى ابتهج ونادى زلال معينها هل من صد، سيدي محمد بن سعيد بن عمر السلي الفوتي وهو السيد الحامل لواء التربية والتعليم في الأراضي الصينية والسالومية في وقته وهو القاذف بالسنة السنة على نحور أهل الأهواء والبدعة فتدمغها فإذا هي زاهقة واشتهر بالولاية والمعرفة حتى قيل إنه من الأبدال السبعة التي لا تخلو الدنيا عنها وما حط أحد رحلته في ساحته إلا وآب بالمقصود واشتهر أنه ما تربى في يده أحد إلا وحاز من المعارف والحكم والفتوحات والمواهب والأسرار ما تجل عن الحصر وتكل عن العد[32]. وفيما يتعلق بوفاته واصل مؤلف هذه السطور أن يصف كاتبا: ...وقد توفي رضي الله عنه أواسط القرن الثالث عشر عام شِمْ طَيْرَا كما رأيته في بعض الكنانيش والله أعلم.[33] وعلى سبيل الدور الذي

[30] محمد جوف: تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، السنغال، 1419 ه/ 1998، ص. 113

[31] أحمد سيسي: مدرسة جامل تأسيسها تطوراتها مناهجها برامجها في ملتقى حول تعليم القرآن في السنغال 17 و18 مايو 1978ا في المعهد الإسلامي بدكار، مخطوطة، ص.2

[32] الحاج أحمد تمبد: مخطوطة عن الحاج علي سيس بجامل، بلا تاريخ، ص11-10

[33] نفس المرجع، ص.12

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

لعبه الشيخ محمد بمب سل، قال عثمان انجاي زائدا: وهكذا انتشرت الثقافة الإسلامية في السنغال بفضل جهود كبار شيوخنا الأجلاء الذين لعبوا دورا متميزا في هذا المجال.[34]

ولا شك أن علم النفس التربوي المساعد لتحقيق عملية التنشئة يمكنه أن يساعد محمد بمب سل في إلقاء تعليمه بوجه خاص للوصول إلى المهارات المقصودة ولإعداد جيل صالح لتولى مسؤوليته في المجتمع. فنستدل على ما قاله طلعت همام: "وعملية التدريس لا تعتمد على المساعدات الخارجية التي توهب لها من مختلف فروع العلم الإنساني فحسب، بل على صاحب هذه المهنة، أن يفهم مهمته وواجباتها، وأن يسعى لتزويد نفسه بكل الوسائل التي تمكنه أن يقدم مساعدة إيجابية لتحقيق واجبات مهنته على أكمل وجه ممكن."[35]

فالمدارس القرآنية التي تولدت وانبثقت من مدرسة بمب مود لا تعد ولا تحصى في السنغال، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، منها مدرسة إبرهيم تمبد المشهر بشارنو حُلَيْ تمبد الذي هو الأول من واصل مدرسة محمد بمب سل بعد وفات المؤسس محمد بمب سل. ومن ثمرته الغزيرة كثرة المدارس في السالوم وخارجها وخاصة في أسرته، ولهذا نجد إسهام أهل تَمْبِدُ في نشر التعليم العربي الإسلامي في السالوم الشرقية وفي الأقاليم المتجاورة وكذلك في غمبيا حيث يوجد بعض أفراد هذه العائلة الدينية الذين لعبوا ومازالوا يلعبون دورا جازما في هذا الميدان.

أما بالنسبة لهذا الشخص الديني الكبير فإنه عامل أساسي من الناحية السياسية لأنه أتى بإصلاح بين المسلمين في السالوم لاسيما في النزاع بين بِرَانْ سِيسِ والإمام مَامُرْ انْدَرِي باه. وينبغي أن نشير إلى أن القرن التاسع عشر تميز بنزاعات بين المسلمين الذين كانوا يبحثون عن سلطة أو عبيد. ولهذا، يقول مارتين أ. كلين في دراسته حول السالوم: في عام 1880 وقعت نزاعات كثيرة وشديدة في الأمة الإسلامية السالومية[36]. وفي وصفه لحالة الاجتماعية السياسية، يكتب الشيخ إبراهيم تمبد المشهور بشارنو حلي تمبد بعد أن آتي بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعالج الإصلاح بين الناس كتب رسالة مهمة إلى معاصريه في كاجور وباوول ويسميهم أهل جُورْ: إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار وقال أيضا قتال المسلم كفر وإن أردتم إلا الصلاح وعزمتم عليه، علمونا ذلك نواقذكم

[34] عثمان انجاي، نفس المرجع، ص.42

[35] طلعت همام، سين وجيم عن علم النفس التربوي، دار عمار، الأردن، 1984م، ص. 27

[36] Martin A. Klein, *Islam and Imperialism in Senegal, Sine-Saloum, 1847-1914*, California, 1968, p.202

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

سريعا لأنكم أهل جور أنتم رؤساء الإصلاح لأنكم أمناء الإمام وأننا أهل السالوم لا يأمننا الإمام على بِرانْ سِيس لما تولد في بلنا حتى أننا من قال منا من الصلح يقال أنك عدو الإمام [...] ألم تر أن كثير علماء سالم قد خرجوا وفروا..... [37]

وصاحب هذه الرسالة ذكر معاصريه كاتبا: فمن إبراهيم بن محمد بن سعيد وحَلِيمة بَهْ، سلام وتحية طيبة وترحيب مليح وزيارة حسنة ومحبة عظيمة مستديمة إلى إخوانه في النسب والدين من محمد بُصُ بن محمد بص شيخ شيوخ زمانه وقطبه مختار سِهْ بن دِنْبَ سِهْ بحر العلم وسيد سادة جيله ونائب الإمام الأعظم ووكيله في كل أمره محمود فال بن أحمد سيد شباب جيله فائق أقرانه علما وجودا وأبيه أحمد بن عائشة بَكِ كنز العلم ومعدن التقوى أبي الغرباء وثمال اليتامى والمساكين أدام الله عزهم.[38]

حقيقة، فإن أسباب هذا الاختلاف متنوعة لأن الأقوال التي تدور حوله متعددة؛ ومهما يكن الأمر، أوقد بران سيس والإمام مَامُرْ اندري باه نارا للحرب التي أطفاها لتجور وألبوري انجاي وغيرهما، ولهذا قال بوبكر باري: أمام هذا التهديد، كثير من الملوك أمثال لتجور جوب وألبوري انجاي وعبد بوكر كان حاولوا أن يصلحوا بين 1878 و1887 مَامُرْ اندري وبران سيس. أصبحت هذه الحركة التضامنية الإسلامية لأجل ربِبَّ رابطة تجانية ضد الاستعمار الفرنسي في السنغال.[39]

وزد على ذلك، مدرسة مَامْ مُورْ أَنْتَ سَلِ امباكي والد الشيخ أحمد بمب امباكي سمي هذا الشيخ الجليل المذكور أعلاه. بعد عودته إلى باوول، أسس مدارس مختلفة في هذه المنطقة وكاجور قبل أن وافته المنية. وإن عيّنه مابا جاخو باه معلما ليتولى تدريس أولاده وأولاد المسلمين في السالوم، عينه فيما بعد لتجور معلما وقاضيا في كاجور. وبهذا الصدد يقول وينسا مونتي: " ولما عزم لتجور العودة إلى كاجور سنة 1868 ذهب بممر أنت سل، والد مؤسس طريقة المريدين وعينه قاضيا للمنطقة.[40]

والجدير بالذكر أن في آثار هذه المدرسة الباوولية التي أثرت في تكوين أبنائه ولا سيما الشيخ أحمد بمب الذي تلقى كثيرا من تعلمه بواسطة أبيه قبل أن يواصل تعليمه في امباكي كاجور وفي باوول حيث أسس قرى مختلفة لنشر الدين الإسلامي

[37] إبراهيم (شارنو حلي) تمبد رسالة (مخطوطة) بدون تاريخ
[38] نفس المرجع، ص 1-2
[39] Boubacar Barry, *La Sénégambie du XV^e au XIX^e siècle, Traite négrière, Islam, Conquête coloniale*, Paris, édition L'Harmattan, 1988, p.304
[40] Vincent Mansour Monteil, L'Islam Noir, Une religion à la conquête de l'Afrique, Seuil, Paris, 1980, p. 126

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

والثقافة العربية. وترك عقب وفاته عباقرة من أولاده وذريته الذين سهر بحرص على تكوينهم تكوينا ممتازا وعاليا وهم قادرون على حمل أعباء خلافته. والمدارس المتفرعة من مدارس الوالد مام مور أنت سَلِ امباكي ومن أبنائه تعتبر بحق تركة هامة للإسلام والمسلمين في مشارق السنغال ومغاربها.

طبعا، كانت الكتاتيب قبلها منتشرة مثل مدرسة مالامين سار في سارين ومدرسة جده مَامْ مَهْرَمْ امباكي في امبكي باوول الذي جاء في هذه المنطقة لتقديم تعزيته لزميله الشهيد مالامين سار. منذ ذلك الحين تطورت هذه المراكز العلمية، ويزيد محمد جوف في وصفه لها: فهذه نبذة من الكتاتيب في معظم فترات تاريخها في السالوم وفي المناطق الأخرى، لم يزل ولايزال عدد المدارس القرآنية التقليدية مرتفعة فيها رغم قساوة ظروف نظام البلاد ورغم عدم إقبال الناس إليها لعوامل معروفة عند الخاص والعام.[41]

وإن كانت هذه الكتاتيب تقوم بهذه المهمة الهامة المتشابهة في نوعها وتنظيمها ومنهجها في السنغال وفي البلدان المتجاورة فإن التسمية تختلف من بلد لآخر. ولهذا سميت أيضا في موريتانيا محظرة، وبهذا الصدد، يقول إبراهيم بن أب الحسني الشنقيطي: لقد اهتم الشناقطة بحفظ كتاب الله تعالى، وتعليمه للصغار في سن مبكرة، ووضعوا الحوافز المادية والمعنوية للحفاظ، وفتحوا المحظر والكتاتيب لتعليم كتاب الله تعالى أولا، ثم كتب اللغة، والأصول والحديث وغيرها، فقلما تجد قبيلة إلا وفيها من الحفاظ العدد الكثير، وخاصة في قبائل الزوايا التي اهتمت بهذا المجال، وجعلته ميدانا يتنافس فيه المتنافسون.[42]

في غالب الكتاتيب عند أهل السالوم، يكون التلاميذ تحت تصرف الشيخ، يرعون ماشيته، ويزرعون له الحقول ويخدمونه في مجالات شتى بغية طلب البركة أو لأجل تزكية نفوسهم. ولهذا واصل مؤلف هذه السطور قائلا: لقد اهتم السلف الصالح بتربية أبناء المسلمين تربية سليمة، هدفها نشر العلم في صفوفهم، وتزكية نفوسهم بهدى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة فكان من ضرورات ذلك وأولياته، غرس القرآن الكريم في عقول الأطفال منذ بداية حياتهم، والاهتمام بحفظهم له، وتعليمهم معانيه، وتعويدهم على تدبره والاتعاظ بمواعظه، والعمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه.[43] ففي أغلب الأحيان يكون الشيخ الذي يتولى التدريس في ذلك الحين واسع الإطلاع وخاصة في العلوم القرآنية، ومنهم من

[41] محمد جوف، نفس المرجع

[42] إبراهيم بن أب الحسني الشنقيطي: طريقة حفظ القرآن الكريم عند الشناقطة، الرياض، 1427 ه، ص.84

[43] نفس المرجع، ص. 32

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

تخصص بعلوم أخرى مثل: الفقه واللغة وغير ذلك مما يثري المادة العلمية عنده ليشبع دائما نهم التلاميذ. وجدير بالذكر أن أهم اللبنة والحجر الأساس عند الشيخ في البناء التعليمي وكان ينقضي أيامه وينصرم لياليه في التدريس، هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ولو كان التلاميذ يشمرون عن ساق الجد وتأهبوا لمعركة طلب العلم، كانوا يستريحون يومي الخميس والجمعة لأن مساء الأربعاء هو آخر الفترة الدراسية في الأسبوع (الإجازة الأسبوعية) أو الإجازة الشهرية في العيدين والمناسبات الدينية. ونلاحظ أن ليس لطلاب المجالس إجازة صيفية على غرار المدارس الحديثة غير أنهم كانوا يتمتعون بعطلة محددة تعتبر كإجازة وهم يستخدمون الحقول أو الأعمال المنزلية. من الأعمال الشاقة التي يقوم بها طلاب الكتاتيب، أنهم كانوا يجمعون الحطب نهارا لأجل أن يوقدوه ليلا فيقرؤوا عليه دروسهم لأن فلا إنارة في البادية غير ما يحصل من إيقاد الحطب.

ثالثا: تأثير اللغة العربية على المجتمع السنغالي

إن السالوم بوابة رئيسية للسنغال إذ أن هذا الإقليم ظل يؤدي دورا هاما وفاعلا في التقاء ثقافات الدول والأقاليم المتجاورة منذ أزمنة طويلة. ولعبت مدرسة بمب مود والمدارس مثلها في نشر الثقافة العربية والإسلامية بواسطة دروس كان يلقيها الشيخ المدرس دورا لا مثيل له في المجتمع السنغالي. وسميت هذه الأماكن التعليمية الاجتماعية التربية مجالس في السنغال محاظر في مورتانيا مثل ما ذكرناه سابقا لأن المعلمين والمتعلمين يجلسون على بساط الأرض لأداء واجباتهم التعليمية.

اللغة العربية كانت لغة البلاد قبل الاحتلال الفرنسي الذي قام بكيد كثير وشديد لإطفائها رغم الإنجازات العظيمة الجوهرية التي قام بها الشيوخ السنغاليون في مقاومة العدو وفي نشر الدين للإسلامي. ومن خلال ذلك قاموا بتفعيل المجتمع السنغالي في التأثير باللغة العربية أيما تأثر وبهذا السبب، ذوبت الكلمات العربية في اللغات المحلية وخاصة اللغة الولوفية التي توجد في السالوم بأغلبيتها. على رأي أستاذ أحمد سيس، بمب مود هو أول مدرسة دينية علّم صاحبها بالولوفية وهذا يعني أنه أول من فسّر فعل قال بالولوفية:"وَخْنَ".[44]

إن اللغة الولوفية هي لهجة أغلبية السكان السنغاليين ومازالت هي اللغة الأكثر انتثارا في البلاد، ولذا، كان يستعملها الشيوخ المعلمون في المجالس (الكتاتيب) كوسيلة لإلقاء دروسهم في المنهجية القرآنية لأن بعض الحروف العربية لها

[44] مقابلة مع الأستاذ أحمد سيس في جامل بتاريخ 15/ 02 / 2018

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

تسميتها المحلية. والسبب يعود إلى توضيح المشاكل وتسهيل التعلم والفهم والحفظ للطلاب أو للتلاميذ غير الناطقين للغة العربية. وبواسطة هذا المنهج يقرأ المتعلم درسه اليومي الذي كتب على لوحة خشبية. وبعد أن حفظ القرآن الكريم أو بعد أن يتلوه بأسره يبدأ يتعلم الكتب الفقهية والنحوية والصرفية واللغوية وما إلى ذلك بواسطة اللغات المحلية. وفي هذا الصدد نكتفي باللغة الولوفية التي كان يستخدمها محمد بمب سل في مركزه التعليمي ولو ذهب بعض أفراد عائلته أنه كان يعلم أيضا باللغة الفلانية لأنه فلاني أصلا. والكيفية كان شيخ التدريس يذكر الكلمة العربية ثم يأتي بمرادفها الولوفي. ومن هذا المنطلق يقول مود مالك سيلا: " الله حرم هذا (ياله أراملن لي)، فالصياغة هنا أيضا من الناحية الصرفية ولوفية مع بقاء مادة (ح ر م) وهكذا المر في كثير من الكلمات."[45]

إذا، بهذا التعليم العربي الديني تأثر المجتمع السنغالي بالكلمات العربية في جميع صيغته. في أول الكتاب الذي كان يبدأ ومازال كثير من تلاميذ الكتاتيب أن يبدؤوا به هو الأخضري للشيخ سيدي عبد الرحمان الأخضري. بعد المقدمة، يقول "أول ما يجب على المكلف....." نلاحظ أن كلمة المكلف يفسر بالولوفية بمكلف أو بمُسْكَلَفْ وهكذا أصبح كثيرا من الكلمات العربية جزء لا يتجزأ في لسان عامة المجتمع السنغالي حتى أن أي سنغالي ينطق اللغة الولوفية مسلما كان أم لا، يستعمل بالكلمات العربية ولو أنه يحرفها أو يجهلها. قال عبد القادر سيلا: " تأثر الشعب السنغالي بمختلف عشائر أيما تأثر باللغة العربية سواء في حياته الروحية أو في مظاهر حركاته الاجتماعية ونشاطه الاقتصادية وأنظمته السياسية، وكان للاحتكاك بين السنغاليين والتجار وسياح العرب البربر دور وفضل كبير، ومن أجل تسريب كلمات وعبارات كثيرة من العربية إلى اللغات السامية السنغالية."

بهذا التأثير، نرى أن اللغة العربية موجودة في جميع المجالات داخل البلاد. وتكلما عن الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في السنغال، كتب الدكتور شارنو كاه: "لاشك أن السنغاليين بدأوا يفهمون معاني اللغة العربية بواسطة التلقين الحرفي والتفسير اللفظي يكون أحيانا باللغات المحلية وكان المنهج القديم- وما زال مستعملا- منهجا معتمدا على هذه الأسس التلقينية لفهم قواعد التوحيد المرتكزة على الإيمان بالله ومعرفة صفاته، وما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه وثبوت النبوة ووجود الملائكة والجن والإيمان بالغيب وكذلك أركان الفقه الإسلامي من الصلاة وصوم وزكاة وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا."[46]

[45] مود مالك سيلا: مظاهر تأثير العربية على اللغة الولوفية، بحث تكميلي لنيل درجة ما جستير في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية 1996م ص.38.

[46] الدكتور شارنو كاه: الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في السنغال، جامعة محمد الخامس بالرباط ومعهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2016، ص. 98

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

وبمجرد هذه الفقرة، نلاحظ استعارة الكلمات العربية بالولوفية، ومنها: (الملائكة) ملاك، والجن (جن) والغيب (خيب) والفقه (فق) والإسلام (لسلام) وزكاة (أسك) وحج (أج) وكذلك الشهادتان (سيدي)... إن الولوف وأهل السالوم بصفة خاصة يواجهون صعوبات في نطق بعض الحروف العربية نطقا سليما لأن بعض الأصوات العربية غير موجودة في اللغات المحلية. ولذلك نجد هم نطقوا الحروف بطريقة معوجة وسمى بعضها "غير سين" بمعنى أنواع أو أصناف السين أي الحروف التي تنطق مثل السين. وهي: ث، ذ، ز، س، ش، ص، ظ. وبهذا المنوال يقول الحاج كانجي: إن الطلبة في هذه المرحلة يواجهون صعوبات في نطق الحروف العربية نطقا سليما لأن بعض الحروف العربية غير موجودة في اللغة الوطنية لذلك نجد المعلمين والطلبة ينطقون الحروف بطريقة معوجة...[47]

أما في السالم فحرف (أ) يقرأ ب (ح). إذن بدون نطق أَجْ أو أَرَامْ المذكور أعلاه، يقول أهل السالوم حَجْ وحَرامْ. في كتابه معجم ولوفية-فرنسية، السيد سليمان فاي أستاذ باللسانيات في جامعة الشيخ أنت جوب بدكار يقول ح حرف حلقي لا يوجد في اللغة الولوفية إلا لأهل السالوم، ويضرب المثال في تعبير التعجب "حاي!" وزاد شارنو كاه قائلا: وقد وجد في كل من الفنون مؤلفات عديدة في علم التوحيد وعلوم أخرى باللغة الولوفية. وقد أسهم أحمد بمبا بتأليف كتاب مهم في علم النحو العربي وسماه (سعادة الطلاب) وقد ألّفه باللغة العربية، ولكن فسر أخيرا باللغة الولوفية المكتوبة بالحرف العربي ليسهل على الدارسين فهم معاني الكتاب.[48]

إضافة إلى كل ذلك، نلاحظ أن الكلمات العربية موجودة بكثير في اللغات الوطنية والسبب يعود إلى دور الكتاتيب في نشر التعليم الديني بواسطة الشيوخ الكبار الذين ألقوا دروسهم وهم الولوفية واستعاروا بعض الكلمات العربية. وهذه الأخيرة أصبحت مزدوجة باللغات المحلية مع بعض التحريف، منها خبار (الأخبار)، فَسْ (الفرس) خَرْ (الخروف) إلي آخره؛ ونعد منها الأماكن في السنغال وفي السالوم خاصة، مثل: مدينة وفاس ومصر ودمشق والشام وما أشبه ذلك وكذلك أسماء الأشخاص المتعددة.[49]

[47] الحاج كانجي: دور الكتاتيب في التربية ونشر اللغة العربية، مذكرة المدرسة العليا بدكار، جامعة شيخ أنت جوب بدكار، 1995، ص. 17

[48] نفس المرجع. ص 98-99

[49]Vincent Monteil, L'Islam Noir, Une religion à la conquête de l'Afrique, Seuil, Paris, 1980, p.307

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

الخاتمة

لقد أدت مدرسة بمب مود القرآنية دورا عظيما من الناحية العلمية والثقافية والحضارية والتضامنية والاقتصادية. وكونت وخرجت عديدا من الشخصيات العلمية البارزة المشهورة في جميع أقاليم البلاد القديمة. إذا، لقد أسهم الشيخ محمد بمب سل إلى حد كبير في تطور التعليم العربي الإسلامي في السنغال وفي البلدان المتجاورة إذ تخرج من كتّابه أعلام كبار أسسوا مراكز علمية رائعة ونادرة من نوعها. وكانت هي مؤسسات علمية تربوية أسهمت في دورها في نشر التعليم العربي في جميع البقاع السنغالية.

أصحبت مدرسة بمب مود عاصمة علمية وثقافية لمنطقة السالوم في تلك الفترة إلى أن انتقل مؤسسه إلى جوار ربه. وواصلت أشعة هذه المدرسة بعد وفاته بفضل الشيخ شارنو حلي تمبد. وبعد ذلك، خملت وجمدت القرية وكذلك المدرسة مدة طويلة إلى أن أسسها مرة ثانيه واحد من أحفاده ألا وهو الشيخ السالوم سل الذي جدد القرية وجميع النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية والعائلية لأجل رؤية في نومه. ومنذ ذلك التأسيس مازالت القرية تلعب دورها الأساسي رغم أن التعليم الديني لم يكد أن يكون مثل ما كان من قبل تشبيه ما نراه في كثير من المراكز العلمية الدينية السنغالية.

وبهمة شيوخ الكتاتيب العالية في السنغال وفي السالوم بصفة خاصة تطور التعليم العربي الإسلامي باستعماله اللغات المحلية كوسيلة لإلقاء وباستعارتها لبعض الكلمات التي لا توجد ترجمتها باللغة الوطنية وهذا رغم الظروف القاسية التي كان يعيش المعلمون والمتعلمون. إن قرية بمب مود فريدة من نوعها لأنها بعيدة وكونت أجيالا مختلفة لمستويات عديدة في مناطق متعددة. وهي مازالت منبرا علميا تفيد وتنير في المعلومات القرآنية والشرعية واللغوية والنحوية والصرفية وفي التصوف. كان محمد بمب سل متصوفا كبيرا تربى على يديه أتباع كثيرون.

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

المراجع بالعربية

- محمد مصطفى جوف، تعليم اللغة العربية في المجالس السنغالية، مذكرة في المدرسة العليا بداكار 1987/1986
- جيم عثمان درامي، من رواد التعليم العربي الإسلامي في السنعال، الحاج أحمد الصغير لوح: مؤسس مدرسة "ككي" الحديثة، حياة في خدمة التربية والتعليم، منشورات تمبكتو دكار- القاهرة، 2018
- محمد سعيد باه: دولات الأئمة في فوتا تورو، دار الاتحاد، قاهرة، مصر، 2010
- عثمان انجاي: صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، مطبعة خطاب، القاهرة 2005
- الشيخ محمد المنتقى أحمد تال: الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، دار البراق، بيروت 2005
- عثمان سل: قصيدة عن محمد بمب سل، مخطوطة عربية، بدون التاريخ،
- حديث رواه البيهقي في المدخل رقم 640
- محمد جوف: تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، السنغال، 1419 هـ/ 1998
- أحمد سيسي: مدرسة جامل تأسيسها تطوراتها مناهجها برامجها في ملتقى حول تعليم القرآن في السنغال 17 و18 مايو 1978 في المعهد الإسلامي بدكار، مخطوطة
- الحاج أحمد تمبد: مخطوطة عن الحاج علي سيس بجامل، بلا تاريخ
- طلعت همام، سين وجيم عن علم النفس التربوي، دار عمار، الأردن، 1404 / 1984م
- إبراهيم (شارنو حلي) تمبد رسالة (مخطوطة) بدون تاريخ
- إبراهيم بن أب الحسني الشنقيطي: طريقة حفظ القرآن الكريم عند الشناقطة، الرياض، 1427 هـ
- مقابلة مع الأستاذ أحمد سيس في جامل بتاريخ 15/ 02 / 2018
- مود مالك سيلا: مظاهر تأثير العربية على اللغة الولوفية، بحث تكميلي لنيل درجة ما جستير في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية 1996م
- شارنو كاه الحبيب: الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في السنغال، جامعة محمد الخامس بالرباط ومعهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2016
- الحاج كانجي: دور الكتاتيب في التربية ونشر اللغة العربية، مذكرة المدرسة العليا بدكار، جامعة شيخ أنت جوب بدكار، 1995
- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1983

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01

المراجع بالفرنسية

- Vincent Monteil, *L'Islam Noir, Une religion à la conquête de l'Afrique*, Seuil, Paris, 1980
- Mamadou Youry Sall, *Mesure de l'arabophonie du Sénégal*, Presse Universitaire de Dakar, Baajoordo Centre de Recherche, Dakar, 2017
- Wikipédia, consulté le 14/04/2020
- Carson I. A. Ritchie, *Deux textes sur le Sénégal* (1673-1677), B.IFAN, B. 1968, n° 1,
- Mamadou Ndiaye, *L'enseignement arabo-islamique au Sénégal*, Istanbul, CRHACI, 1985
- Thierno Ka, Ecole de Pir Saniakhor, *Histoire, Enseignement et Culture arabo-islamique au Sénégal du XVII^e au XX^e siècle*, GIA, Dakar, 2002
- Boubacar Barry, *La Sénégambie du XV^e au XIX^e siècle, Traite négrière, Islam, Conquête coloniale*, Paris, édition L'Harmattan, 1988
- Vincent Mansour Monteil, *L'Islam Noir, Une religion à la conquête de l'Afrique*, Seuil, Paris, 1980
- Martin A. Klein, *Islam and Imperialism in Senegal, Sine-Saloum, 1847-1914*, California, 1968
- El hadj Hady Wade, *Serigne Modou Bamba Sall Saloum ou la vie d'un soufi hors pair (1764-1856)*, journal Bamba, septembre 2003. n° 7

تاريخ الاستلام: 2021/10/28 تاريخ النشر: 2021/12/01